الا بل تقدر على رعي اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعني الشجر الذي ترعاه الماشية قال
ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما نبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل
على صحة هذا القول بقول الشاعر نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر وصوب
الخيل نغذيها اللحم الذي هو المصنوع بان نسقيها اللبن الحلو منه اذا اجدبت الارض وقل
الكلأ فانه اطلق الشجر على الكلأ قوله تسيمون اي ترعون مواشيكم من قولك رعيت الابل ارعاها
اذا اخليتها ترعى وانت ترعاها وعن رعى البعير الكلا بنفسه والرعي بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر
في تفسير تسيمون بضم التاء من اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها لترعى وسامت هي تسوم
سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهي العلامة
وتاويلها انها تؤثر في الارض برعيها علامات قوله ولعل تقديم ما تسامون فيه لما ان النبات
قسمان احدهما مرعى الانعام وقد ذكر بقوله فيه تسيمون وثانيهما ما يصلح ان يكون غذاء
للانسان وهو المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب وقدم في هذه الآية
ما يكون مرعى الحيوان على ما يكون غذاء للانسان مع ان الظاهر ان يقدم غذاء الانسان
على غذاء سائر الحيوان كما في قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم كان نحو الزرع والزيتون وان كان
ياكله الانسان ولا ياكل ما ياكل مرعى الحيوان من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان
اياه وكونه جزءا منه تصير غذاء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية النباتية نحو الزرع والزيتون
لان تغذي اعضاء الانسان من الاغذية الحيوانية اسهل من تغذيها من الاغذية النباتية لان
المشابهة هناك اتم واكمل من المشابهة الكائنة بين اعضاء الانسان والاغذية النباتية فبهذا
الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما ياكله الانسان فلهذا قدم الاول على الثاني لان الغذاء
الحيواني انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعي في تنميتها بواسطة ارعائهم الغذاء
النباتي قسمان حبوب وفواكه فهو اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله
والزيتون والنخيل والاعناب ولا شك ان الحبوب اشرف في الغذاء بالنسبة الى الفواكه
واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلث بالذكر مع
كثرة الفواكه واشرف الثلث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادام من وجه لكثرة ما فيه
من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلي واشعال السرج والثاني في الاشرف
فهو النخيل فلذا قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل على الاعناب قوله اي نفعكم بها
حال كونها مسخرات لله جواب عما يقال كيف يكون مسخرات حالا من الجميع مع انه يستلزم ان يكون
المعنى سخر هذه الاشياء حال كونها مسخرة بامره وهو تحصيل الحاصل وتقييد الشيء بنفسه وتكرار

بلا فائدة وتقرير الجواب ان سخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون النفع
غاية التسخير مرتبا عليه والتعبير عن الشيء بغايته المطلوبة منه مجاز مشهور فيندفع
الاشكال المذكور قوله خلقها ودبرها اشارة الى ان الامر في حق الاجرام تكويني لا امر
تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ما ذهب اليه اكثر المسلمين فالامر بمعنى
امر تخليق وتدبير والامر بمعنى الشان والفعل كثير ومنهم من يقول انها ليست جمادات فهم يحملون الامر على
الاذن والتكليف قوله دفعا للدور والتسلسل فانه لو استند حوادث العالم السفلي
الى الحركات الفلكية والكوكبية ولا شك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك
وكواكب اخرى والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات
والاوضاع الى ذوات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام لان الاجسام متماثلة
فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب
الاتصاف بتلك الوضع والصفة ولامتنع اختلاف الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم
يمتنع الكون متحركا لكونه جسما فيجب ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوة
قائمة به او امرا مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك
الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان يكون تلك الحركات
مستندة الى امر مباين عنه وذلك المباين لا يخ اما ان يكون موجبا بالذات او فاعلا بالاختيار
والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام
بقبول بعض الاثار المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء
وهو الله تعالى وان الحوادث السفلية على تقدير استنادها الى الحركات الفلكية بل ان الحركات
الفلكية حادثة بخلق الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وبايجاده
وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الاية يعني ان كانت
تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء
لا بد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتكوينه وتسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل
في هذا المقام ختم الاية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا يعلم ان
التسلسل والدور باطل لا يرد عليه ويستدل به على بطلان التسلسل من الانتهاء في الاحوال الى الفاعل
المختار القديم تعالى شانه من غير احتياج الى التفكر والتامل على ان الاستدلال باحوال النباتات
وان كانت حالة عليه الا انها على وجوه يحتاج الى التفكر والتامل فلذلك لما ذكر انه تعالى
انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما ان تعالى لا ثم انه هو الذي انبتها ثم عقبه